

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[229] تضيف الآية : (وآتاه الأ الملك والحكمة وعلمه ممّا يشاء) الضّمير في هاتين الجملتين يعود على داود الفاتح في هذه الحرب، وعلى الرّغم من أنّ الآية لا تقول أنّ داود هذا هو داود النبي والد سليمان (عليهما السلام) ولكنّ جملة (وآتاه الأ الملك والحكمة وعلمه ممّا يشاء) تدلّ على أنّّه وصل إلى مقام النبوة، لأنّ هذا ممّا يوصف به الأنبياء عادةً، ففي الآية 20 من سورة ص نقرأ عن داود (وشددنا ملكه وآتيناه الحكم) كما أنّ الأحاديث الواردة في ذيل هذه الآية تشير إلى أنّّه كان داود النبي نفسه. وهذه العبارة يمكن أن تكون إشارة إلى العلم الإداري وتدبير البلاد وصنع الدّرع ووسائل الحرب وأمثال ذلك حيث كان داود (عليه السلام) يحتاج إليها في حكومته العظيمة، لأنّ الأ تعالى لا يُعطي منصباً ومقاماً لأحد العباد إلّا ويؤتيه أيضاً الاستعداد الكامل والقابليّة اللاّزمة لذلك. وفي ختام الآية إشارة إلى قانون كلّ فتقول : (ولولا دفع الأ الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكنّ الأ ذو فضل على العالمين). فإّ سبحانه وتعالى رحيم بالعباد ولذلك يمنع من تشريّ الفساد وسرايته إلى المجتمع البشري قاطبة. وصحيح أنّ سنّة الأ تعالى في هذه الدنيا تقوم على أصل الحريّة والإرادة والاختيار وأنّ الإنسان حرّ في اختيار طريق الخير أو الشر، ولكن عندما يتعرّض العالم إلى الفساد والإنذار بسبب طغيان الطّواغيت، فإنّ الأ تعالى يبعث من عباده المخلصين من يقف أمام هذا الطغيان ويكسر شوكتهم، وهذه من ألطف الأ تعالى على عباده. وشبيه هذا المعنى ورد في آية 40 من سورة الحج (ولولا دفع الأ الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد...). وهذه الآيات في الحقيقة بشارة للمؤمنين اللّذين يقفون في مواقع أماميّة من مواجهة الطّواغيت والجبابرة فينتظرون نصره الأ لهم.